

الروحانية الحديثة وخطؤها

الأستاذ الكبير عبد الواحد يحيى

من أخطر الأغلاط الغربية الحديثة واحدة تبنت في أمريكا منذ أقل من مائة سنة
أى (سنة ١٨٤٧ م) وعرفت باسم «الروحانية الحديثة». ويمكن تحديد معناها بأنها تبوت
إمكان الاتصال بالموتى بواسطة وسائل مادية: أما كيف بدأت أولا فانه لاحت في
بعض ظواهر طبيعية كانبعاث أصوات وتحرك أشياء في أحد المنازل بدون ماسبب واضح
لها. أما هذه الظواهر فقد لوحظت في كل زمان ومكان فلا يمكن القول بأنها ظواهر
شاذة. فلماذا إذن يستولد منها الغربيون عقيدة جديدة في تلك الحالة الخاصة بينما لم
يفكر أحد في شيء من ذلك من قبل! الحق أنهم ثاروا على تلك المادية المنتشرة في العالم
فعملوا على إيجاد وسيلة سرية تعمل على هدمها. ولكن إذا اعتبرنا أن غايتهم من ذلك
حسنة إلا أن الوسائل التي استعملوها لبلوغ غايتهم لم تكن كذلك. وحقيقة أن الباطل
هو شر دائما ولذا لا يمكننا أن نوافق على ما يدعيه البعض من أن الغاية تبرر الوسيلة
وفي الواقع إن الوسيلة إذا لم تكن صالحة تماما فانها كثيرا ما تنقلب سريرا ضد الغاية
المرجوة. واننا إذا تخيلنا صورة الحياة بعد الموت على مثال صورة حياة الجسم على
الأرض، وهي التي انقاد إليها أتباع العقيدة الجديدة، فيمكننا أن نعتبر أن ما يسمى
«الروحانية الحديثة» داهي في الحقيقة إلا مادية من نوع آخر، بل أكثر ضررا
من المادية لأنها تخلق الاوهام والتخيلات في حقيقة طبيعتها حتى تتمكن من التأثير
في الذين لم يقبلوا الآراء المادية الصريحة الشائعة. أكثر من هذا أن فيها خطرا آخر،
ويكفي أن نرى كم من الأشخاص - بواسطة ما يسمى الاتصال بالموتى - أصيبوا
بالجنون أو الخراب ثم الانتحار، عند ذلك يكون لنا الحق في التصريح بأن هذا التعليم
الذي يجلب مثل هذه العواقب هو لعنة على بني الانسان. وهذه العدوى المزمنة التي
رسيخت في عقول الكثيرين من الأشخاص الطاهري السريّة وذوى النوايا الطيبة، هذا
الوباء الفاتك بالمعقول بعد أن مر مبكرا من أمريكا إلى أوروبا قد بدأ لسوء
الحظ ينتشر في الشرق. بل لا تغالى إذا قلنا إنه امتد إلى الشرق الأقصى حيث نلاحظ
منذ ستوات قليلة انبعاث دين جديد في الهند الصينية يسمى «كاو داي» وبدعى

انصاره أنه لا يستمد تعاليمه عن طريق الوحي بل يستمدّها مباشرة من الله بواسطة سلة متحركة .

و ينبغي أن يفهم القارىء أننا بعيدون جدا عن إنكار حقيقة أنواع الظواهر المختلفة التى يري فيها « الروحانيون الحديثون » برهانا على وجهة نظرهم ، فإن هذه الظواهر كما سبق القول كانت معروفة دائما عند القدماء ، بل كانوا أكثر علما بها ممن يعرفونها الآن . ولكننا ننكر تفسيرها الحديث الذى تفسر به هذه الحقائق بنسبتها الى فعل « الارواح المجردة » وهى التى يقصد بها الشخصيات الانسانية التى زالت من عالم الوجود الارضى . كيف يقبل التفكير السليم أن « الأرواح المجردة » يمكنها تحريك مائدة أو استيلاء قوة خفية على اليد تجعلها تكتب أو ترسم ، أو أشياء أخرى كثيرة من هذا القبيل ؟ مثل هذه الالتمات لا تدل إلا على عدم العلم - الذى أصبح تقريبا عاما في وقتنا هذا - باختلاف الظروف في حالات الوجود المتباينة . وينبغي أن نذكر أنه إذا أمكن للانسان أن يتصل بالارواح - إنسانية أو غير إنسانية - فإن ذلك لا يكون إلا بأن يصير نفسه متيقظا في حالة وجوده الخاصة التى تطابق الحالة نفسها وهى تكون فيها تلك (الأرواح) فعلا . ولكن هذه مسألة أخرى ليس لها أية صلة بتعاليم وأفعال (الروحانية الحديثة) . وفى الحقيقة توجد عناصر كثيرة من أنواع مختلفة ربما ساعدت على إيجادها ، على حسب الحالات المختلفة ، ولكن ينبغي أن نفرق بين هذه العناصر بدقة . وسنشير بإيجاز إلى أنواعها المختلفة ، حيث لا يمكننا أن نفسر كل منها تفسيراً كاملاً مفصلاً لأن ذلك لا يتسع البحث فيه الآن :

١ - من أهم العناصر التى تحدث هذه الظواهر ، تلك التى تحدث في معظم الحالات وكثيرا ما تكون منفردة ، وهى التى توجد في قوى الانسان العقلية - هذه القوى التى يمكن أن تتسع وتكبر أكثر مما يظنه علماء النفس الحديثون أو الذين يشتغلون بدراسة الحالات الشاذة . هذه القوى كامنة في كل انسان ، وإذا تمت واتسعت بطبيعتها فإن ذلك يكون في حالات نادرة ولكن يمكن تنمية صناعاتها في بعض الأشخاص بوضعهم في حالات خاصة مثل تلك الحالات المعروفة تحت الاسم العام « التنويم المغناطيسى » وهى التى فيها يمكن للإنسان أن يحس بأشياء بدون أن يتصل جسمه بها وكذلك يمكنه تحريكها كما يمكنه أيضا رؤية أشياء مخفاة عن حواسه العادية أو بعيدة عنه في الزمان أو في المكان وغير ذلك . ولا يمكن لغير الرجل المادى - فى أضيق حدود معنى هذه الكلمة - أن يقول بأن الانسان محدود بالقياس الى جسمه ولكن الروحانيين بتسميتهم هذه التى درجت في الفلسفة الغربية

يشكون جداً في قدرة الانسان على احتمال ما هو فوق مستوى قواه الجسمية أو تلك القوى التي تتصل وثيقاً بالجسم وتظهر في الحياة المعتادة لاي فرد، ومن جهة أخرى ينبغي أن نذكر أن تلك التي تسمى القوى الشاذة وهي التي نتكلم عنها ليس فيها شيء روحى في الحقيقة أكثر من القوى المعتادة . وإن التصور الذي جعل الانسان الحي يتكون من جزئين أو عنصرين فقط - وهو ما انتشر في الفلسفة الحديثة خاصة وفي العقل الغربى عامة - هذا التصور هو الذى سبب هذا الاضطراب ، لأنه صير الناس جاهلين بالفرق الاساسى بين النفس والروح . وإن طبيعة المقدرة التي تظهر في الاشخاص الذين ينومون تنويماً مغناطيسياً - وهم الذين يسمونهم « الروحانيون الحديثون » بالوسطاء - ليست « روحية » بالمرّة بل هي « نفسية » تماماً ، وهي تخص الحالات التي يمكن وصفها بأنها اللطف من الحالات العادية كما انها أكثر اتساعاً وأعلى منزلة أيضاً في درجات الوجود ، كما يجب أن تكون الحالات الروحية . وإتمام مثل هذه القوى في الانسان هو إتمام الاحساس بالاتساع لا الاحساس بالارتفاع .

هذه الحالات النفسية التي تظهر إما في التنويم المغناطيسي أو في بعض حالات من الامراض العقلية ينشأ عنها ما يسميه علماء النفس خطأ « بالشيخيات المتعددة » لأنها تظهر منفصلة عن الحالات العادية . وربما كان هذا خطأ في استعمال الكلمات والا فإنه يكون خطأ فاحشاً لانه لا يمكن لعقل ما أن يتصور أن الانسان الحي له أكثر من شخصية واحدة . وحقيقة إن كل حالات الكائن ما هي إلا مظاهر جزئية لشخصية واحدة غير متغيرة .

وصحيح أن الانسان في حالته العادية لا يحس بالاعمال التي يؤديها أو المعارف التي يستقيها في الحالات الأخرى ، ومن السهل جداً أن ندرك هذا لأن الحالة العادية هي أضيق الحالات مجالاً كما أنها لا تعتمد إلا على الشروط الجسمية ، بينما الحالات الأخرى تكون مطلقة الحرية ، واننا لانجد غرابة في هذا لو فكّرنا فقط في التفرقة التي توجد عادة في كل فرد بين شعوره بحالة اليقظة وشعوره بحالة النوم .

ينبغي أن نوجه بحثنا نحو نقطة واحدة : هي إن كل ما يسمى (بالظواهر) إما أن يصدر من القوى العقلية في الحالات العادية أو من قوى الحالات النفسية الأخرى . هذه الظواهر تمثل فقط الجزء الظاهري من الكائن . وواضح من الكلمات نفسها أن (الظواهر) - من أى نوع أو درجة - هي ظواهر من الظاهر وليست من الباطن ، أى أنها تعديلات سطحية

للکائن وليست عناصر مكوّنة لذاته الباطنية العميقة . والقوى التي يمكن تسميتها تماماً باطنية ينبغي أن يبحث عنها في حالات تختلف تماماً عن الحالات النفسية وتسمو كثيراً عن الظواهر العادية أو الشاذة .

٢ - إذا رجعنا إلى الحالات النفسية التي تكلمنا عنها فينبغي أن نقرر أن الإنسان في هذه الحالات - كما في الحالة العادية - يحاط بقوى فعالة مختلفة ألطف من تلك التي في عالم الجسم والحس ، ولكن بعضها بما كان مشابهاً - لذاتياً - أقوى مثل الكهرباء وغيرها ، ولا يخفى أن هذه القوى يمكن للطبيعي العادي الاستدلال عليها بتأثيراتها المحسوسة . هذه القوى النفسية التي كان يعبر عنها (الطاو - ص) الصينيين بأنها (قوى ساجحة) كان لها قوانين مثل أي قوانين أخرى طبيعية ، وربما كان الغرض منها علمياً ، فإذا أمكن أن تجمع وتركز بشروط خاصة ، فإنه ينبعث منها تأثيرات ربما تظهر غريبة لمن يحملون مثل هذه الأشياء ، مثلها في ذلك مثل ظهور التأثيرات الكهربائية لمن يحملون الطبعيات . أضف إلى هذا أن الإنسان إذا اتصل بمثل هذه القوى يمكنه ، بدون أن يشعر ، أن يلبسها لوقت ما شخصية ظاهرية بزوال شخصيته الخاصة ، ومن هذا يمكننا تفسير ظواهر كثيرة .

وهنا يمكننا أن نرى أحد الأسباب للاخطار التي يقع فيها من يمارس (الروحانية الحديثة) أو ما يماثلها : يعرض الفرد نفسه لتأثيرات ربما أثرت فيه في أحوال كثيرة فتبعث في كائنه الخاص عناصر الاضطراب وعدم الاتزان النفسي تذهب به أحياناً إلى نوع من الوحدة والعزلة ، ويمكننا أن نجد ما يماثل هذه الوحدة في بعض ما يسمى (بالشخصيات المتعددة) التي تكلمنا عنها سابقاً . هذه الأخطار لا يستهان بها وربما لا يمكن تجنبها إذا كان الأشخاص الذين يتصلون بهذه القوى جاهلين تماماً بطبيعتهم كما هي الحال مع الأكرثية العظمى لمعاصر بنا وخاصة (الروحانيين الحديثين) الذين هم في الحق كالأطفال يلعبون بالنار

٣ - الإنسان في حالته العقلية أو النفسية يجد نفسه متصلاً ، كما في الحالات العادية ، بكائنات أخرى موجودة في حالات تتفق مع حاله ، وأهم ما نقصده هنا بالكائنات هم بنو البشر . وهذا هو ما يحدث لهؤلاء الذين يشتركون في (جلسات) الروحانيين الحديثين بدون رغبة منهم أو معرفة فيوصلون أفكارهم إلى الوسيط ، وليست أفكارهم المطابقة للواقع

حينئذ فحسب ، بل أيضا وغالبا أفكارهم البعيدة التي تلوح لهم كأنهم نسوها لبعده العهد بها فيعجبون جدا من اكتشافها ويمكن للأشخاص الغائبين أيضا أن يتصلوا بأنفسهم مهما كانوا بعيدين إذا كانوا في مثل هذه الحال متجردين من كل القيود الجثمانية . ويمكن إجراء هذه التجربة بشعور من الأشخاص أو بدون إحساسهم بها : وتحدث الأولى في الحالات النادرة للأشخاص الذين لهم معارف خاصة والذين يعملون هذا لغرض محدود كما حدث عند ابتداء العلم (بالروحانية الحديثة) وتحدث الثانية في الحالة العامة وهي اتصال أي فرد وخاصة أثناء نومه . ويجدر بنا أن نضيف الى ما ذكر أنه يوجد بعض المظاهر في الحيوانات : لأن لهذه أيضا حالات لطيفة في كائناتها الخاص

٤ - وفي بعض الحالات تحدث الظواهر ، طبيعية كانت أو مفتعلة ، بعناصر تنبعث حقيقة من الموتى ولكن ليس لها اتصال فعلى شخصياتهم الحقيقية : وهذه العناصر ما هي الا بقايا نفسية مشابهة لبقايا الجسم التي يتركها الميت بعده بتخلله . لأنه يوجد في الطبقة النفسية عناصر تلازم الجزء الحال من الكائن ، وهذه العناصر أقرب الى الحالة الجسمية : ولذا يمكنها أن تولد تأثيرات حسية . وهذه البقايا النفسية تمثل حقيقة حالات خاصة من (القوي السابحة) التي سبق ذكرها قبلا . واذا ذكرناها على حدة فان ذلك لان مظاهرها جميعها يمكن اعتبارها كمظاهر حسية للموتى ، ولكن في معنى يختلف تماما عما يقصده (الروحانيون الحديثون) . مثل هذه العناصر يمكن أن تأخذ مظهرا مؤقتا للحياة ثم تعطي حينئذ إجابات آلية تعكس بعضا من أفكار الفرد التي سبق أن كانت تختص به . وهذا اللطيف من الشخصية - إذا أمكن تسميته كذلك - هو ما كان يسميه اليهود القدماء (اوب) كما يرى في بعض الكتب المقدسة . وقد أعطى إجابات في (الاستحضارات) التي استعملت بين معظم الناس ، ولو أن الدين يحرمها بصفة عامة .

٥ - وأخيرا ، ليكون الموضوع تاما ، ينبغي أن نذكر إمكان تداخل تلك الكائنات التي ليس لها حياة جسمية . هذه الكائنات - التي تعتبر غير إنسانية - ليس لها مطلقا طبيعة روحية خالصة . ولكنها بالعكس تقرب جدا من العالم الحسى ، ولهذا يمكنها أحيانا أن تحدث تأثيرات فيه ، ونريد هنا أن نشير بصفة خاصة إلى فعل الجن ولكن ليس هنا مجال الافاضة في هذا الموضوع

وبما أنه لا يوجد شيء روحى في كل هذه الاشياء أكثر من تلك التي لها اتصال بالحياة الأرضية فلا ضرورة للقول بأنه لا يمكن المقارنة بينها وبين الأشياء الأخرى التي

تختلف في طبقتها كوحى الاء نبياء عليهم السلام أو التي في طبقة أقل ارتفاعا كالمقدرة الخاصة للاء ولياء رضى الله عنهم، وهي التي تنبعث في مبدئها من العالم الروحي، وينبغي أن نقرر أن هذه المبادئ تختلف في حقيقتها بينما تتفق في المظاهر الخارجية . ولكن هذه أيضا مسألة أخرى . تلك مسألة (المؤثرات الروحية) وليس لها صلة بموضوعنا الحالي أمان حيث الظواهر النفسية فاننا سنضيف هذا : بعض الغربيين — وليس هؤلاء الذين يقبلون وجهة نظر فحسب الروحانية الحديثة بل والذين يسمونها أغراضا علمية — يحاولون بكل جهدهم أن يكتشفوا أشياء كانت معروفة تمام المعرفة في الأزمنة السحيقة عند الأمم الشرقية ويلاحظون بعض الحقائق ولكن يعجزون عن تفسيرها بينما يوجد كما سبق أن أوضحنا باختصار — ن ما يحتاج إليه لتفسير هذه الحقائق نفسها بل وحقائق أخرى كثيرة لم يكن لديهم أقل فمكرة عنها

والنتيجة ان كل من يود معرفة حقيقة مثل هذه الموضوعات لا يمكنه أن يجد ضالته في البحوث الغربية الحديثة بل عليه أن يرجع الى المعارف الشرقية القديمة

عبد الواحد يحيى

رابعة الشامية وابن أبي الحواري

قال أحمد بن أبي الحواري : كانت لرابعة الشامية أحوال شتى : فمرة يغلب عليها الحب ومرة يغلب عليها الانس ومرة يغلب عليها الخوف ، فسمعتها في حال الحب تقول :

حبيب ليس يعدله حبيب ومالسواه في قلبي نصيب
حبيب غاب عن نظري وشخصي ولكن عن فؤادي ما يغيب

وسمعتها في حالة الانس تقول :

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي وأبحت جسمي من أراد جلوسى
فالجسم منى للجليلس مؤانس وحبيب قاي في الفؤاد أنيسي

وسمعتها في حال الخوف تقول :

وزادى قليل ما أراه مبلغي ألهزاد أبكي أم لطول مسافتي
أتحرقتى بالنار يا غاية المنى فأين رجائي فيك أين مخافتي

فقلت لها مرة وقد أتت ليليل : مارأينا من يقوم الليل كله غيرك . قالت سمحان الله مثلك يتكلم بهذا ؟ إنما أقوم إذا نوديت ، فجلست على المائدة في وقت قيامها فجلت تذكري ، فقلت لها دعينا نهنا بطعامنا فقالت : ليس أنا وأنت ممن ينقص عليه الطعام عند ذكر الآخرة .